

## لسانيات النص في التراث البلاغي.

## Text linguistics in the rhetorical heritage

\*د. جلال مصطفىاوي

جامعة بلحاج بوشعيب، عين تموشنت، (الجزائر)، [zourba1976@live.fr](mailto:zourba1976@live.fr)

تاريخ النشر: 2021/06/01

تاريخ القبول: 2021/04/10

تاريخ الاستلام: 2021/02/21

**ملخص:** غني عن البيان أن لسانيات النص (Linguistique textuelle) يندرج ضمن المقاربة التواصلية، وهو اتجاه علمي لغوي بكر، يُعنى بدراسة النص في كليته مع مراعاة بعده الاتصالي والتركيز على دور السياقات المحيطة به، وتقوم منهجيته في التحليل على أساس تجاوز لسانيات الجملة (نحو الجملة) التي تقف عند حدود الجملة كموضوع. إلا أنّ مسار التكوّن التاريخي لهذا العلم يكشف عن وجود محاولات عديدة ضاربة في أعماق التاريخ تهدف إلى وصف ظواهر نصية مفردة، وتتجلى هذه المحاولات بشكل خاص في علم البلاغة الغربية الكلاسيكية (فن الخطابة عموماً) وعلم البلاغة الغربية الكلاسيكية المدرسية (فن المرافعة الخاصة أمام المحاكم) وعلم البلاغة العربية، فقد اهتم البلاغيون منذ القدم بدراسة بعض المظاهر الخطابية انطلاقاً من وعيهم بتماسك الخطاب وارتباط أجزائه، الأمر الذي أدّى إلى السموّ بالخطاب إلى مستوى التعبير القادر على احتواء المتلقي والتأثير في وجدانه، وإقناع عقله. لكن هل معنى هذا الكلام أن مضامين لسانيات النص قديمة تلبس ثوباً جديداً؟ ثمّ ما الذي سوّغ للباحثين العرب المحدثين الجمع بين البلاغة العربية ولسانيات النص؟ هل يعدّ منهج الدراسة واحداً في كليهما أم أنّهما يتفقان في الغاية؟ سأحاول من خلال هذه الورقة البحث في العلاقة بين الإشارات النصية المبثوثة في التراث العربي والغربي وهذا العلم حديث النشأة، فنحن نجد الكثير من الباحثين يردّ هذا العلم إلى تاريخ سابق ضارب في أعماق الماضي، فما هو إلا علم قديم قُدّم بشكل جديد منظم.

**كلمات مفتاحية:** لسانيات النص، البلاغة، التراث، المرافعة، اللسانيات العربية.

**Abstract:**

It goes without saying that the linguistics of the text (the science of the language of the text) falls within the communicative approach, and it is an early scientific linguistic stream, concerned with studying the text in its entirety, taking into account its communicative dimension and focusing on the role of the surrounding contexts. Its methodology of analysis is based on transcending the linguistics of the sentence (syntax) that stands at the boundaries of the sentence as a subject. However, the course of the historical formation of this science reveals the existence of many attempts struck in the depths of history aiming to describe single textual phenomena. These attempts are particularly evident in the science of classical western rhetoric (the art of rhetoric in general), the science of classical Western rhetoric (the art of private pleading in the courts) and the science of Arabic rhetoric. Rhetoricians have been interested since ancient times in studying some aspects of rhetoric based on their awareness of the coherence of discourse and the relevance of its parts. It led to the elevation of the discourse to the level of expression capable of containing the recipient, influencing his consciousness, and convincing his mind. But does this talk mean that the contents of the linguistics of the text are old and wear a new form? Then what justified for modern Arab researchers the combination of Arabic rhetoric and the linguistics of the text? Is the method of the study the same in both, or do they both agree in the final aim (end). I will try, through this paper, to investigate the relationship between the textual signals transmitted in the Arab and Western heritage, and this science is newly emerging, as we find many researchers refer this science to a previous history that strikes the depths of the past, It is nothing but an old science presented in a new and organized form.

**Keywords:** Text linguistics; rhetoric; heritage; pleading; Arabic linguistics.

\* المؤلف المرسل: جلال مصطفىاوي، الإيميل: [zourba1976@live.fr](mailto:zourba1976@live.fr)

## 1. مقدمة:

المعرفة الجديدة في كافة الحقول المعرفية، لا تتكشّف من العدم، بل هي وليدة عملية نقدية بناة للمعرفة السابقة (التراث) أو المعاصرة، أو خروج متمرد من الأطر والأعراف التي كان العقل يسبح في أرجائها مطمئنا لها... فميلاد لسانيات دي سوسير (F.De Saussure) (1857-1913)-مثلا- كان نتيجة الموقف النقدي الجريء الذي تبناه اتجاه مناهج الدراسات اللغوية السابقة عليه (منهج النحو التقليدي-منهج الفيلولوجيا التاريخية-منهج النحو المقارن)، أما لسانيات النص (Linguistique textuelle) فتعدّ امتدادا للمغامرة اللسانية، حيث تمّ في ظلها تجاوز الجملة في التحليل إلى النص ككل، كما حلّ منهج التركيب محل منهج التحليل، وباتت الغاية من الدراسة تحقيق التواصل الإنساني عن طريق النصوص بعد أن كانت حبيسة وصف البنية... لكن ما يجدر بنا ملاحظته هو أن التراث البلاغي الغربي منه والعربي يحفل بالكثير من الظواهر التي تحيل إلى مضامين لسانيات النص من حيث الموضوع والمنهج والغاية. فهل هذا يعني أن لسانيات النص علم قام بتنظيم القضايا البلاغية التراثية وربطها فقط أم أنه اجتهاد يفوق المعطيات التراثية من حيث العمق والنضج؟ وحرى بنا أن نقدّم لهذا الطرح بالحديث عن الإطار المعرفي العام الذي تندرج ضمنه المقاربة اللسانية النصية.

يصنّف المؤرخون الاستمولوجيون الدراسات اللغوية إلى اتجاهين مختلفين من حيث المنهج والمعطيات الإجرائية، وهما: المقاربة الشكلية للغة (A.statique) (وهي التي تتعامل مع اللغة في سكونيتها وثبوتيتها (ستاتيك) في سبيل معرفة بنائها والنظام الذي تقوم عليه تراكيبيها...). والمقاربة التواصلية للغة (A.Dynamique) (وهي التي تُعنى بدراسة اللغة في حيويتها وديناميكيته، أي أثناء استعمالها ما بين البشر في سياقاتها المتعددة). وفيما يلي تفصيل ذلك.

## 2. مقارنة الظاهرة اللغوية

## 1.2 المقاربة الشكلية للغة

وهي مقارنة قوامها التركيز على الموضوع (اللغة) في حد ذاته بمعزل عن الظروف السياقية التي ساهمت في تشكيله (المتكلم، المتلقي، الزمان، المكان، السياق الاجتماعي والثقافي...) بهدف وصفه والتفعيد لنظامه الداخلي، ويمكن أن ندرج النحو العربي في طور بنائه ضمن هذا الاتجاه "خصوصا في مرحلة التأسيس لدى (سيبويه) مثلا، فكانت أحكامه معيارية، يتضح ذلك فيما أشار إليه في باب الاستقامة من الكلام والإحالة إذ فرّق بين صحة التركيب النحوي في الجملة وقبول دلالتها اللغوية، فقسمها إلى مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب (...) كما تتجسّد في النحو العربي صفة الصرامة المنطقية وذلك في اعتماده على التقدير، وتصنيف التراكيب إلى الواجب والجائز وغير الجائز وبوصف ما يخرج عن القواعد المتعارف عليها بأنه شاذ لا يقاس عليه، أو بتأويله تأويلا قد يصل لدرجة التعسف والتزيّد في النص أو تسويغه على أنه من باب الضرورة الشعرية"<sup>1</sup>. والجدير بالذكر أن هذا مجرد رأي لأن هناك من العلماء من يرى بأن النحو العربي ذو طابع وصفي يهتم بالمعنى التواصلية أيضا.

فقد كان عمل النحاة العرب منصبا على اللغة في علاقات أجزائها المكوّنة لها بعيدا عمّا هو خارج عنها، لذلك كانت مقاربتهم شكلية" ولقد اختار النحاة العرب للنحو العربي أن يكون على مستوى علاقات الكلمات (...) وكذلك كشف النحاة العرب عن علاقات خاصة بين الكلمات في داخل أجزاء الجملة ومن ذلك ما يلي:

أ- علاقة الظرف والجار والمجرور بمتعلقهما

ب- علاقة التعدية بين الفعل والمفعول به

ج- العلاقة بين التابع والمتبوع

د- العلاقة بين المضاف والمضاف إليه

هـ- علاقة التلازم بين الموصول وصلته

و- العلاقة بين الحال وصاحب الحال

ز- العلاقة بين المتلازمين أيًا كانا (حرف الجر ومجروره، حرف العطف ومعطوفه)

ح- العلاقة بين الجملة الكبرى والجملة الصغرى

ط- العلاقة بين المبهم وتمييزه

ى- الفعل اللازم وحرف الجر المناسب له<sup>2</sup>

وفي الدراسات اللغوية الغربية، يعدّ التيار البنيوي (Structuralisme) أهمّ ممثّل للنزعة الشكلية في مقارنة اللغة حيث يُعنى بدراسة المنجز في صورته الآنية بغض النظر عن السياق الذي أنتج فيه، أو علاقته بالمرسل وقصده بإنتاجه، ويتم ذلك بتحليل مستويات لغة بعينها مثل اللغة العربية بوصفها كيانا مستقلا، ذات بنية كلية، وإيجاد العلاقة بين هذه المستويات بدءا من تحليل الأصوات والصرف والتراكيب إلى تحليل مستوى الدلالة، وغني عن القول إن هذا النموذج من التحليل لا يولي الكلام الفردي عنايته<sup>3</sup>.

ويرى البنيويون بأنّ حقيقة المواضيع أو الأشياء لا تُستقى من خارج الموضوع، بل من داخله، في العلاقات العضوية الرابطة بين الأجزاء المكوّنة للموضوع. فاللغة نسق عضوي من العلامات اللسانية تقوم بينها علاقات وطيدة تحكمها قواعد صارمة. وإن التعبير العلمي عن هذه العلاقات هو وصف لبنية اللغة، وهي الغاية التي يسعى البنيوي إلى تحقيقها. ثم إن النحو التوليدي التحويلي يندرج أيضا ضمن المقاربة الشكلية، وهو النحو الذي نادى به عالم اللغة الأمريكي (نوم تشومسكي N.Chomsky) الذي وقف موقفا نقديا من بنوية (دي سوسير) ومن جاء بعده، فهي وإن كانت ذات نزعة علمية إلا أنّها - في رأيه - وقفت عند حدّ وصف الظاهرة اللغوية، وهو يرى أن علينا أن نعلّل القدرة الإبداعية في تحقيق المنجزات اللغوية "ويرجع النحو التوليدي بالدرس اللغوي من ملاحظة الظواهر ووصفها إلى محاولة تفسيرها ووضع النظرية، ليعصم اللغة من سكونها ويمنحها طابعها الإبداعي الخلاق، ولذلك يعتمد في تعميده وتمثيله على المنطق والرياضيات، ليضفي على اللغة الصبغة العلمية المنضبطة متخذا من الجملة أساسا في التحليل. ويفترض أن الإنسان ينتج كلامه وفقا لهذه القواعد الصورية ممّا اقتضى البحث في إيجاد العلاقة بين العقل واللغة، والعناية بالمكوّن البيولوجي لها، والتعامل معه مثل أي مكون بيولوجي آخر، بوصفه العضو الذي يسمح للإنسان بإنتاج وتفسير عدد لا محدود من الجمل التي لم يسبق أن سمعها من قبل، وبوصف اللغة أهم خصائصه، وهذا ما جعل المنهج التوليدي يعيب على المناهج البنيوية التوقف عند أشكال اللغة المنجزة"<sup>4</sup>.

## 2.2 المقاربة التواصلية للغة:

وهي المقاربة التي تدرس اللغة من حيث ديناميكيتها، أي باعتبارها مستعملة في التواصل ضمن إطاره الاجتماعي، الأمر الذي يفرز ضرورة العناية بالسياق الذي يحتضن التلفظ بالخطاب اللغوي "بدءاً من تحديده بمعرفة عناصره ودور كل عنصر منها في تشكيل الخطاب وتأويله، وكذلك دراسة افتراضات المرسل عند إنتاج خطابه ووسائله وأهدافه ومقاصده، أو التنبؤ بها، ومعرفة أنواع السياق مثل السياق النفسي والاجتماعي، وإدراك تأثير كل منها على توليد الخطاب"<sup>5</sup>.

وفي التراث اللغوي العربي نجد اهتماماً بهذا الاتجاه، فقد كان السماع من أهم مصادر تقنين اللغة وجمعها عند الكوفيين، كما أن النحاة في تعاملهم مع الجملة (اتجاه الإفادة) يشترطون حصول الفائدة (يحسن السكوت عليه) والإفادة كرة أو معنى يستلزم التسليم بأن اللغة لا تكون إلا في شكل منطوق في سياق تواصل اجتماعي. وتجدد الإشارة إلى أن هذا الاتجاه التواصلية يتجلى بوضوح أكبر في الدراسات البلاغية العربية التي ركزت على دراسة اللغة وربطها بالسياقات التي تكتنفها (فكرة مقتضى الحال-نظرية النظم-علم المعاني...). ولم يقتصر الاهتمام بدراسة اللغة في السياق على العلوم اللغوية البحتة، بل تجاوز ذلك إلى علوم أخرى، إذ كانت اللغة، وفق هذا الاتجاه هي أساس الدراسة عند تفسير القرآن وربط الآيات بأسباب النزول، وكذلك في علمي الفقه وأصوله.

أما في الدراسات الغربية فقد تجلّى الاتجاه التواصلية في مناهج متعددة أهمها: المنهج التداولي -النحو الوظيفي- تحليل الخطاب - لسانيات النص وغيرها. وإذا كان الاتجاه الشكلي (البنوي والتوليدي) يركّز على اللغة كنظام معزول عمّا هو خارج عنه، أي في بعده التركيبي والدلالي... وإذا كانت التداولية اتجاه تواصلية يهتم بدراسة اللغة أثناء الاستعمال وبيان الأفعال الكلامية وتصنيفها والعلاقة القائمة بين العلامات اللسانية ومستعملها (المتكلم والمتلقي) من أجل السيطرة على المقاصد الحيوية للخطاب، فإن لسانيات النص (في نماذجها المتقدمة: (فان ديك Van Dijk -دي بوجراندي R.De Beaugrande) تدمج الرؤيتين معاً، فالدراسة النصية في نظر دي بوجراندي (De Beaugrande) تتطلب ثلوثاً من الاتجاهات، وهي:

"النحو: الترابط الرصفي

الدلالة: الترابط المفهومي

التداولية: أعمال-خطط-أغراض"<sup>6</sup>

فقد شدّد دي بوجراندي (De Beaugrande) على أن نظرية استعمال اللغة يتوجب عليها أن تقوم على أساس مفهوم الترابط حيث عدّه من دواعي الكفاءة النصية أو المعيار الأهم في نصية النص كما قال بذلك هو وزميله "درسلر (Dressler)".

إدّاء، فلسانيات النص (علم لغة النص) اتجاه علمي لغوي بكر، يُعنى بدراسة النص في كليته مع مراعاة بعده الانصالي والتركيز على دور السياقات المحيطة به، وتقوم منهجيته في التحليل على أساس تجاوز لسانيات الجملة (نحو الجملة) التي تقف عند حدود الجملة كموضوع. إلا أنّ مسار التكوّن التاريخي لهذا العلم يكشف عن وجود محاولات عديدة ضاربة في أعماق التاريخ تهدف إلى وصف ظواهر نصية مفردة، وتتجلى هذه المحاولات بشكل خاص في علم البلاغة الغربية الكلاسيكية (فن الخطابة عمومًا La Rhetorique) وعلم البلاغة الغربية الكلاسيكية المدرسية (فن المرافعة الخاصة أمام المحاكم) وعلم البلاغة العربية، فقد اهتم البلاغيون منذ القدم بدراسة بعض المظاهر الخطابية انطلاقاً من وعيهم بتماسك الخطاب وارتباط أجزائه، الأمر

الذي أدى إلى السموّ بالخطاب إلى مستوى التعبير القادر على احتواء المتلقي والتأثير في وجدانه، وإقناع عقله. لكن هل معنى هذا الكلام أن مضامين لسانيات النص قديمة تلبس ثوبا جديدا؟ ثمّ ما الذي سوّغ للباحثين العرب المحدثين الجمع بين البلاغة العربية ولسانيات النص؟ هل يعدّ منهج الدراسة واحدا في كليهما أم أنّهما يتفقان في الغاية؟

### 3. إشارات لسانية نصية في التراث البلاغي:

#### 1.3 في البلاغة الغربية:

يعدّ كل من (أرسطو Aristote 384-322 ق.م) و(شيشرون Cieron 106-43 ق.م) و(كوينتيليان Quintilian 35 تقريباً-96م) أهم ممثل للخطابة في الغرب. وقد ارتبط مفهوم الخطابة أو الريطورية ارتباطاً وثيقاً بغايتها التي تتمثل في الإقناع. فالريطورية -حسب الترجمة العربية القديمة- "قوة تتكلّف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة"<sup>7</sup>. وفي تعريف كوينتيليان: "ترمز البلاغة منذ القدم إلى أنّها فن الخطاب الجيد" ars bene dicendi وقد عرف الوصف "جيد" تفسيرات متعددة بتعدد الاتجاهات البلاغية فهو يتطلب أن يتمتع الخطيب بأخلاق تحوّل له التأثير في الجمهور وأن يناسب خطابه المقام وأن يكون جميلاً لغوياً وأن يحقق مقصده الأساس وهو التأثير في المستمعين. وتكشف محاورات أفلاطون (جورجياس-فيدر) عن المكانة العظيمة التي كانت تحظى بها الخطابة في المجتمع اليوناني القديم وهي مكانة كانت تؤهلها لمنافسة الفلسفة بل حاولت نفيها من مجال الحياة والسياسة وقد تصدّى سقراط لهذه النزعة التي استفحلت عند السوفسطائيين.<sup>8</sup> وهي بحق تستحق هذه المكانة بالنظر إلى فعاليتها المتميزة في الحياة اليونانية القائمة على النظام الديمقراطي الذي يعدّ المناخ المناسب لأساليب الإقناع.

- أقسام الخطابة عند "أرسطو":

لقد صنّف (أرسطو) الخطابة باعتبار مخاطبين إلى أنواع وهي:

- أ- الخطابة القضائية: ويكون المخاطب فيها قاضياً يُنتظر منه أن يصدر حكماً وقع في الماضي.
  - ب- الخطابة الاستشارية: يكون المخاطب فيها عضواً في جمعية يشاوره الخطيب في القضايا السياسية المستقبلية.
  - ج- الخطابة المحفلية: وهي التي تُلقى في المحافل العامة على جمهور مختلط من الناس.
- وقد اقترح (أرسطو) -بناءً على المقامات الثلاثة وأنماط المخاطبين- وسائل إقناع تناسب كل صنف من أصناف الخطابة.

#### - مراحل إنتاج النص الخطبي عند "أرسطو":

لقد كان لزاماً على الخطيب -في أنموذج أرسطو- أن يتبع خطوات أو إجراءات محددة في إنتاج نصه في سبيل تحقيق الوظيفة الإقناعية، إجراءات تتسم بالانتظام والدقة، فالخطيب يهدف إلى إقناع المخاطب بقضيته التي يدافع عنها. وقد لخصها (رولان بارت Rolan Barthes) في قراءته المحكمة للبلاغة القديمة في خمسة، وهي:

1- الابتكار أو الإيجاد: العثور على الأفكار المناسبة للموقف والملائمة للمرافعة.

2- الترتيب أو التنظيم: التقسيم المنطقي للمرافعة إلى فقرات:

- الافتتاح (الموجز/الديباجة): مقدمة يُثار فيها اهتمام المستمع.

- العرض: وهو جوهر الخطاب، يتمّ فيه عرض الموضوع.

- **الحجاج:** توضيح الأدلة والحجج التي تؤيد وجهة نظر الخطيب، وبيان الأدلة المضادة.
- **الختام:** يؤكد الخطيب فيه على ما برهن عليه ويطلب فيه من القاضي أن يصدر حكماً لصالح الموكل.
- 3- **الصياغة الأسلوبية (العبرة):** تحويل الأفكار المختارة إلى أشكال تعبيرية.
- 4- **التذكّر (الذاكرة):** استظهار الخطاب من أجل حفظه واسترجاعه.
- 5- **الأداء أو الإلقاء:** وهو مسرحة القول أي الإلقاء الحيوي للخطاب بمصاحبة حركات يدوية ونطق سليم مطابق للمعايير.<sup>9</sup>
- وصفوة القول: إن البلاغة الكلاسيكية (الخطابة) عند اليونان كادت تكون السابقة التاريخية لما يُعرف اليوم بلسانيات النص، وذلك من خلال:
- أ- **العناية بالمقام:** ويتجلى ذلك بوضوح في تركيز اهتمامها على متلقي النص، من حيث طبقاته الاجتماعية وسنه وغير ذلك (تقسيم الخطابة إلى أضراب).
- ب- **العناية بالنص وترتيبه:** توفر لنا البلاغة قواعد إنتاج نصوص تحتكم إلى الانسجام والمنطقية (مراحل إنتاج النص).
- ج- **ثم إن تحقيق غاية الإقناع** يتطلب، بل يفرض على الخطيب التزام استراتيجية معينة جوهرها التركيز على النص والمتلقي وتجاوز كل ما هو جزئي.

يقول جميل عبد المجيد: "...رأى (فان ديك" Van Dijk) أنه يمكن أن نعد البلاغة السابقة التاريخية لعلم النص، لكن اختزال بلاغة أرسطو (الخطابة) في مراحل زمنية تالية -حين انحصرت في العملية الثالثة (العبرة)، بحيث أصبح مفهوم هذه البلاغة منصبا على وجوه الزخرفة، جعل (فان ديك) يستبعد البلاغة بمفهومها الأخير الضيق ليؤثر عليها علم النص ذا المفهوم الأوسع."<sup>10</sup>

### 2.3 في البلاغة العربية:

لقد تأثر اللغويون العرب في العصر الحديث بعلم لغة النص أو لسانيات النص، وقد أفرز هذا التأثير دراسات وأبحاثا كثيرة تؤسس لهذا العلم وتحكم آليات عمله، وتطبق إجراءاته الوصفية والتحليلية على النتاج اللغوي العربي، وما يشد الانتباه أننا نجد في مضامينها اتفاقا على أن البديع العربي قد تضمن دراسة ظواهر عديدة أهمها التكرار والمطابقة ذات صلة وثيقة بلسانيات النص. ذلك أن التماسك المعجمي يتركز أساسا على آليتين وهما: التكرار والمصاحبة المعجمية.

ومن هنا يشير (جميل عبد المجيد) إلى فروق أساسية ما بين معالجة البلاغيين العرب ومعالجة اللسانيين النصيين لظاهرة التكرار، بعد أن قام بعرض المعطيات المعرفية الخاصة بالظاهرة في المقاربتين، بقوله: "... ثمّة مفارقات بين البلاغيين العرب وعلماء لغة النص في معالجة ظاهرة التكرار، نجملها فيما يلي:

**الأولى:** معالجة هذه الظاهرة -عند البلاغيين العرب- من منظور بلاغي صرف، ومن ثم كان التركيز على الكلام الأدبي والشعري خاصة، وكذلك القرآن الكريم من حيث إعجازه البلاغي. بينما عولجت الظاهرة -عند علماء لغة النص- من منظور لساني صرف، ومن ثم شملت النصوص بمختلف أنواعها، على أن منهم من حاول كشف نحو النص الأدبي / الشعري، مثل (فان ديك).

**الثانية:** عدم الاقتصار في هذه المعالجة - عند علماء لغة النص - على مستوى الجملة، بل تجاوز هذا المستوى إلى الجمل والفقرة والنص بتمامه. بينما ركزت المعالجة - عند البلاغيين العرب - أكثر ما ركزت وخاصة في مرحلة التقعيد على الجملة أو البيت وإن جاءت عندهم أحيانا شواهد تجاوزت هذا المستوى.

**الثالثة:** وقف علماء لغة النص على أربع درجات للتكرار، وهم في هذا أفادوا من الدراسات اللغوية والدلالية المعاصرة، بينما وقف البلاغيون العرب على درجتين فقط (إعادة العنصر المعجمي، والترادف أو شبه الترادف) لكن في الشواهد التي أوردتها البلاغيون العرب وتعليقات بعضهم عليها ما يفيد رصد الدرجة الثالثة في سلم التكرار (الاسم الشامل) وإن لم يصطلحوا على تسميتها، كما أن عندهم رسدا دقيقا وشاملا لأنماط عديدة من إعادة العنصر المعجمي، وقد خصّوا كل نمط بمصطلح خاص وعدّوه فنا برأسه من فنون البديع، وربما يرجع ذلك إلى التنافس فيما بينهم على رصد نوع أو فرع جديد من البديع.

**الرابعة:** سيطرت الغاية التقعيدية التعليمية على البلاغة العربية، بينما سيطرت على علماء لغة النص الغاية الوصفية التشخيصية. وكان من نتائج هذه المفارقات، كشف البلاغيين العرب عن جانب أو جوانب دور هذه الظاهرة في أدبية الكلام وشعريته على مستوى الجملة أو البيت غالبا، بينما كشف علماء لغة النص عن دور هذه الظاهرة في السبك، والذي هو عندهم من أهم عوامل النصية<sup>11</sup>.

والمطابقة من فنون البديع العربي تقوم أساسا على ما يعرف بالمصاحبة المعجمية أو التضام، حيث تتجلى فيها العلاقات المتعددة والمختلفة بين زوج أو أكثر من الألفاظ، وتحلّ إلى ثلاثة أنواع وهي: مطابقة الإيجاب ومطابقة السلب وإيهام التضاد، وتهدف إلى بيان المعنى وتوضيحه، فهي من محسنات البديع المعنوية، فالضدّ يحيل إلى ضده في الجملة أو البيت، يقول الشاعر في وصف الملكة الحسنة (من قصيدة اليتيمة):

فالوجه مثل الصبح مبيّض والشعر مثل الليل مسود

ضدان لما استجمعا حسنا والضد يظهر حسنه الضد (العكبري. 1870:23)

ولما كانت المطابقة علاقة قائمة بين العناصر الواردة في القول أو البيت الشعري فإنها تشكّل مظهرا من مظاهر الترابط المعجمي داخل الجملة في أغلب الأحيان "... إلا أن هذا الواقع لا ينبغي أن ينسينا أن علاقة المنافرة يمكن أن تساهم كآلة في نسج الخطاب... وقد اجتهد البلاغيون في رصد الأبيات المنظومة المعتمدة على علاقة المطابقة ولكنهم لم يتبعوا المطابقة كآلية معجمية مساهمة في اتساق الخطاب (القصيدة)، ولعل عذرهم في ذلك هو أنهم يصفون الأساليب البلاغية المختلفة التي تضيف على الاستعمال رونقا وجمالا"<sup>12</sup>.

#### 4. خاتمة:

انطلاقاً مما سبق بيانه، خلصتُ إلى فكرة مفادها أن الإطار المعرفي الذي يحتضن ما يُعرف بالمقاربة اللسانية النصية، هو الاتجاه التواصلية في دراسة اللغة، أي أن لسانيات النص لا يُؤخذ معناها من اسمها، فهذا الأخير يحرصها في البحث في لغة النص فقط، أي في البنى النصية وكيفية تراتبها وتآلفها، وقد يترجم مصطلح لسانيات النص إلى "علم لغة النص". وفي الحقيقة فإن لسانيات النص في بدايتها (فرضية التوسيع)، كانت تُعنى بسطح النص وشكله اللغوي، أي أنها كانت تهتمّ بنظام اللغة وبنيتها فقط، مزوّدة بخلفية نظرية قوامها أنه من الممكن استثمار قواعد الجملة (نحو الجملة) في تحليل النص، ما دام النص عبارة

عن سلسلة من الجمل المترابطة، فكأنهم يقولون بأن النص هو الجملة، فهما يتقاطعان في خصائص عديدة، مثل الطابع البنيوي والصيغة الزمنية، وأتمها لانهائيان من حيث الكمّ في أيّ لغة من اللغات... لكن مع تطوّر الأبحاث في لسانيات النص، تجاوز العلماء لغة النص كنظام، وعمدوا إلى ربطها بالاستعمال، على اعتبار أن المعاني ليست متأصلة في الوحدات اللغوية، بل تتلبس بمستخدميها والسياقات التي أنتجت في خضمّها، فتحوّل اهتمام اللسانيين النصيين من لغة النص إلى البعد الدلالي للنص (العلاقة بين اللغة والمرجع) والبعد التداولي (العلاقة بين اللغة والمستخدمين أو المؤلّين)، فالغاية التي يسعى إلى تحقيقها هذا العلم هي بيان كيف يتمّ الاتصال من خلال النصوص.

أما الفكرة الأساسية الثانية فتتمثل في العلاقة بين الإشارات النصية الماثثة في التراث العربي والغربي وهذا العلم حديث النشأة، فنحن نجد الكثير من الباحثين يردّ هذا العلم إلى تاريخ سابق ضارب في أعماق الماضي، فما هو إلا علم قديم قُدّم بشكل جديد منظم.

إنّ المراجعة الموضوعية لهذا الحكم تجعلنا نسلّم بأن تراثنا العربي والتراث الغربي تضمّن أفكارا لها علاقة وثيقة باللسانيات النصية، لكنّها تظّل مجرد إشارات، ومطابقة الإشارات النصية بالعلم الجديد مظهرٌ من مظاهر التعصّب للتراث - في رأيي - لأنّ النموذج (Le Paradigme) نسقٌ من الإجراءات المنظمة بإحكام بالغ، له موضوع محدّد، ومنهج محدّد، وغاية يبغي الوصول إليها. فكلّ علم تحكمه محددات تميّزه عن غيره من العلوم، وهي التاريخ (على اعتبار أن المعرفة تراكمية ولا تنبثق من فراغ)، والموضوع (النص في النموذج اللساني النصي مثلا)، والمنهج (التركيبى مثلا)، والغاية (تحقيق الاتصال). وهذه المحدّدات ليست تنظيما لمعطيات سابقة فقط، بل هي اجتهاد محمّل بثقافة زمن جديد متطوّر.

## 5. قائمة الإحالات:

### أ/ الكتب

#### • العربية:

1. حسان تمام، (2006)، مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتب، مصر، 2006.
2. خطابي محمد، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006.
3. الشهري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) - دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، 2004.
4. عبد المجيد جميل، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998.
5. العمري محمد، في بلاغة الخطاب الإقناعي، دار إفريقيا الشرق، المغرب، 2002.

#### • المترجمة:

6. أرسطو، الخطابة، تح: عبد الرحمن بدوي، وزارة الثقافة، مصر، 1959.
7. بارت، رولان، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ت: عمر أوكان، رؤية للنشر والتوزيع، مصر، 2011.
8. دي بوجراند (و) درسلر، النص والخطاب والإجراء، عالم الكتب، مصر، 1998.

### ب/ الدوريات:

9. عبد المجيد، جميل، علم النص (أسسه المعرفية وتحليلاته النقدية)، مجلة عالم الفكر - مج32 - ع02، 2003، ص143.



6. هوامش البحث:

- 1- الشهري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) - دار الكتاب الجديد المتحدة، (لبنان، 2004، ص 05)؛
- 2- حسان تمام، (2006)، مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتب، (مصر، 2006، ص 223-224)؛
- 3- الشهري، عبد الهادي بن ظافر، المرجع السابق، ص 07؛
- 4- المرجع نفسه-ص 08؛
- 5- المرجع نفسه-ص 09؛
- 6- دي بوجراند (و) درسلر، النص و الخطاب و الإجراء، عالم الكتب، (مصر، 1998، ص 86)؛
- 7- أرسطو، الخطابة، تح: عبد الرحمن بدوي، وزارة الثقافة، (مصر، 1959، ص 09)؛
- 8- العمري محمد، في بلاغة الخطاب الإقناعي، دار إفريقيا الشرق، (المغرب، 2002، ص 14)؛
- 9- ينظر: بارت، رولان، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ت: عمر أوكان، رؤية للنشر والتوزيع، (مصر، 2011، ص 46-47)؛
- 10- عبد المجيد، جميل، علم النص (أسسه المعرفية وتجلياته النقدية)، مجلة عالم الفكر-مج 32- ع 02، 2003، ص 143؛
- 11- عبد المجيد جميل، البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر، 1998، ص 85-86)؛
- 12- خطابي محمد، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، (المغرب، 2006، ص 123)؛